الشاعر الحقيقي يموت واقفاً

بقلم : هادي دانيال

عندما كنت تلميذا صغيرا ، أرتدي مريولا بني اللون ، كنت أقرأ قصائد « سليمان العيسى » وأحفظها غيبا كواجب مدرسي ..

وعندما كبرت بقي « سليمان العيسى » وقصائده طفلا صغيرا في داخلي أتذكره كلما أذكر طفولتي .. قصائده زرعت في أذهاننا جذور شجرة العروبة، وبذرت بذور الاشتراكية ..

عروبة كما يفهمها هو ، واشتراكية كما كان يفهمها هو ..

ولكن العروبة والاشتراكية ، القومية والاشتراكية ابيا الاختناق تحت سقف كان « سليمان العيسى » يغرد في فسحة اوحت بالامل تحته!وعندما ترمد الامل وتلاشت الفسحة عض « العيسى » على جرحه حاملا تفاؤله وانسانيته ، مخلفا ظهره للانظمة ، متجها نحو الاطفال الذين رسموا للعيسى افاقا واسعة جعلته يقول لي منذ ساعات : لا بد ان تنتصر الاشتراكية .. هذا عصر الاشتراكية واندحار الامبريالية ..

قال لي : في القرن التاسع عشر ولدت الاشتراكية على يد « كارل ماركس » كفكرة ، وفي القرن العشرين اصبح نصف العالم اشتراكيا ، وفي القرن الواحد والعشرين لا بد ان يصبح العالم كله اشتراكيا ...

فقلت له : وفي القرن الثاني والعشرين سيصبح العالم كله شيوعيا .. فابتسم بطفولة وفرح قائلا : بالتأكيد ..

« سليمان العيسى » كتب نشيد جبهتنا .. و « سليمان العيسى » متأكد من ان الذاكرة التي نسيت « انطاكية » نسيت « فلسطين » ...

في « حلب » عندما شرد من « انطاكية » ، سكن العيسى قبوا ..

والآن يسكن في « دمشق » قبوا ..

ليس لانه يهوى الاقبيه .. ولكنه يرفض دفع ثمن الخروج من الأقبية ..

سيبقى الاطفال يرددون اسم « سليمان العيسى » فشقيقتي الصغيرة « وفاء » لا تزال تذكر اسمه بعد نهايه اناشيدها المدرسيه وهي على ثقه أن اسمه جزء من النشيد .. والأطفال الآتون سيذكرون دائما سليمان العيسى وقبوه .. وينسون النباحين على موائد السادة وقصور المثقفين العطرة.. ليست دعوة لافقار المثقفين ..

ولكن الشاعر يجب ان لا يسكن قصرا طالما ثمة فقير يكابد قهر الجوع في وطنه ..

قال فوكنر : « عاهرة يوما ، عاهرة كل يوم » .

وقال لي « ابو معن » : لم انحن للانظمة لانني اريد ان يعلم الاطفال ان ليس الشعراء كلهم ينحنون امام الضباط وذوي السلطة ..

حدّث « أبا معن » عن أي شيء تريد ، فيحدثك عن الاطفال ..

عندئذ تعود الى الطفل الذي تخال نفسك قد هجرته الى الابد ، فإذا هو يقف في المقعد المدرسي وينشد قصيدة لسليمان العيسى ..

قال الذين خطبوا في مهرجان « أبي سلمى » أن تكريمه تكريم لنضال الشعب الفلسطيني ..

فمتى يُكرَّم سليمان العيسى الذي كتب قصيدة عنوانها « سخنين » التي شهدت يوم الارض .. ومتى يُكرَّم شعب لواء اسكندرونة لأنه ناضل من أجل تحريره ..

يا « أبا معن » من نسي انطاكيه لن يتذكر فلسطين ..

ومن تذكر فلسطين لن ينسى انطاكيه ..

ولا بد ان يكرهك الاطفال ، ولو بعد حين ..